



إشكالية الملاي مع القيم الإنسانية أعمق من نزعات ترامب الشعوبية، فهو يتمترس خلف حدود بلاده، أما الملاي فهو يعملون على إعادة هندسة الديموغرافيا والهويات الوطنية للدول خارج بلادهم.

تابعت خلال الفترة الماضية تصريحات القادة والمسؤولين الإيرانيين بشأن الرد على مواقف إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، ولفت انتباهي من بين هذه التصريحات ما ورد على لسان الرئيس الإيراني حسن روحاني، الذي اعتبر أن ترامب “حدث عهد بالسياسة”， وأن “أجواء السياسة جديدة بالنسبة إليه”， وأن أمامه بعض الوقت كي يدرك هو ومن حوله ما يتغير عليهم فعله، وهذا الأمر سيستغرق وقتا في نظر روحاني.

لا يهمني، ككاتب، إن كان الملاي يسبون ترامب أو العكس، ولكن ما يهمني هو المدركات والتصورات المتبادلة لدى الطرفين، كي نفهم ما يدور من حولنا، وهنا أشير إلى أن فهم الملاي لترامب، بحسب ما استنتجت من مجلل تصريحاتهم، أنه “تاجر” أو رجل أعمال قادم من عالم البزنس والصفقات التجارية، وهذا صحيح وأنهم ذلك جيدا بل ذكرت في مقالاتي السابقة جميعها أن الرجل يتحدث بلغة الصفقات التجارية، ولكن ما رأيت أنه غباء سياسي هو أن الملاي يعتقدون أن ترامب لا يفهم في السياسة وأن أمامه الكثير من أجل فهم ديناميات العلاقات الدولية، وهذا نوع من الغباء أو أنه ادعاء للغباء بهدف استدراج الإدارة الأمريكية الجديدة لصدام عسكري مع إيران، ولا أرجح شخصياً أن الملاي جاهزون لمثل هذا الصدام، بل أكاد أجزم أنهم غير قادرين عليه رغم ثقتي بأنهم لا يعبأون بتكلفة مثل هذا الصدام على الشعب الإيراني، فهم لا يدركون على سبيل المثال أن نظامهم قد يكون الهدف المباشر لأي تحرك عسكري أمريكي محتمل، ولكن يكون الأمر كما كان عليه الحال في تدخلات عسكرية أميركية سابقة في المنطقة وغيرها.

الملاي يراهنون على الحس التجاري والميل لعقد الصفقات لدى ترامب، وهذا وارد والكثيرون في العالم يراهنون عليه،

ولكن الفكرة القائلة بأن القادر الجديد للبيت البيض لا يفهم في السياسة هو أمر غارق في الغباء، لأن من يتولى رئاسة دولة بحجم الولايات المتحدة ويخوض معركة انتخابية شرسة كالتي خاضها هذا الرجل، وانتصر فيها على مرشحة ديمقراطية متمرة في السياسة يساندها الإعلام والذئاب الأمريكية، لا بد وأن يكون لاعباً سياسياً محترفاً، ولا أقول ماهراً، فهذه بخلاف تلك.

في السياسة كما في كرة القدم، مدارس وطرق مختلفة، ووجود رئيس أمريكي من دون خلفية سياسية ليست سابقة في التاريخ الأميركي، فهناك ممثلون ورجال أعمال وصلوا إلى البيت الأبيض عبر صناديق الاقتراع، وهذه مسألة ليست عابرة بالمرة، وما يؤكد لي أن رؤية الملاي للإدارة الأمريكية الجديدة تعاني قصوراً شديداً أنهم لا يكتفون باعتبار ترامب نفسه تاجراً مبتدئاً في السياسة، بل يرون أن أركان إدارته على شاكلته، وهذا الأمر لفت انتباهي بحد ذاته من زاويتين؛ أولهما أن عالم السياسة لم يعد منفصلاً عن عالم البزنس وأن الاقتصاد السياسي هو المحرك الأول للعلاقات الدولية، فالنظام العالمي القائم ذاته قائم على هذا الأساس منذ اتفاقية "بريتون وودز" بعد الحرب العالمية الثانية، وظهور نظام نفدي عالمي لا تزال الكثير من معالمه هي الأساس في العلاقات الدولية والتبادل التجاري حتى الآن.

أما الزاوية الثانية في حديث الملاي أنهم ينتقدون وجود رئيس أمريكي ذي خلفية تجارية على رأس دولة، ولا يرون إشكالية في وجود "عمامة" بدرجاتها الدينية المختلفة المعتمدة من قم وتتوفر للملالي ألقاباً مثل "حجة الله" و"آية الله" و"آية الله العظمى" وغيرها، وتتركز خلفياته في العلوم الفقهية والنظريات الطائفية ليس فقط على رأس دولة مثل إيران، ولكن على كل كرسي من كراسي مؤسساتها السياسية، بل والعلمية مثل الجامعات والأكاديميات وغيرها.

هذه الأفكار المغلوطة تبدو غريبة، وهي ذاتها الأفكار التي تسسيطر على جماعات وتنظيمات الإرهاب السنوية، فنجد شاباً غريباً للأطوار لم يقرأ في حياته سوى بعض الكتب القديمة، وقد سيطرت عليه نزعات القيادة وارتقت له "الأنما"، وتوهم أنه قائد يضاهي قادة الإسلام العظام، وأن ينشئ تنظيماً يدمر به مقدرات ومصالح شعوب إسلامية بأكملها بسبب مثل هذا الغباء المسيطر على النفوس.

المثير للسخرية في تصريحات روحاني أنه ارتدى ثوب المعلم ليذكر الرئيس الأميركي بأن عالم اليوم هو عالم اتصالات وتبادل أفكار، وأن عهد بناء الأسوار قد ولى وذهب، وهذا كلام صحيح ولا غبار عليه، ولكن الإشكالية تكمن في من يقوله. فالكلام مثلاً ينطبق على ترامب ينطبق أيضاً على الملاي، ويفترض أنهم أولى به قبل أن يعلموا به الآخرين، فain علاقاتهم واتصالاتهم الإيجابية مع دول جوارهم حتى نقول أنهم يؤمنون بالحوار والتعاون الدولي. فهم لا يصدرون لجيئنهم سوى ميليشيات الحشد الشعبي الطائفي البغيض، ولا أحد يسمع منهم سوى صيحات التهديد والوعيد بالاستيلاء على العواصم واحتياج المدن العربية. ولا أحد يسمع عن تجارتهم سوى الأسلحة وتصدير الإرهابيين في منطقة واسعة تشمل اليمن والعراق وسوريا ولبنان وغيرها.

لا يبدو الملا حسن روحاني هنا كمن قال المولى عز وجل فيهم أنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم؟ أيعقل أن دولة تزعم الدفاع عن الإسلام تقوم بكل هذا التطهير العرقي على أساس ديني في مناطق معروفة وعلى رؤوس الأشهاد في مدن سوريا والعراق؟ إشكالية الملاي مع الحضارة والقيم الإنسانية أعمق بكثير من نزعات ترامب الشعوبية، فهو في الأخير يتمترس خلف حدود بلاده، ويريد أن يمنع الآخرين من دخولها، وهذه معركته مع شعبه ودولته التي قامت على أساس فلسفى وفكري معلوم، والقيم هي أغلى ما تصدره للعالم والإنسانية، أما الملاي فهم يعملون على إعادة هندسة demography والهويات الوطنية للدول خارج بلادهم. هم يريدون التحكم في شعوب العراق وسوريا واليمن، ولديهم اقتصرت على الشعب

الإيراني وحدود بلادهم ومنعوا العالم كله من دخولها لكان أمرهم أهون، بل كان العالم سيرحب بذلك ويكفيه أنهم سيكفون الجميع شرورهم.

[إيلاف](#)

المصادر: